ندوة العلماء
والحفاظ على الهوية الثقافية
لمسلمي شبه القارة الهندية

تأليف

الدكتور / أحمد عبد الحليم محمد جلال
مدرس العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

في لكهنو قلعة للدين شامخة
لاحت معالمها في خير عنوان

يا ندوة للعلوم طاب موردها
طيب الثمار تدلت بين أغصان

أكرم بمن فيك من أهل التقى فلقد
أدوا فرائض كانت طي نسيـــان

كم مسلم في ربوع الهند آلمه
جهل بدين وترتيـل بقـــرآن

كنتم له سنداً بالعلم ينهله
صافي الموارد ممزوجـا بإيمان(*)

(*) الأبيات للأستاذ مأمون فريز حرار وزارة التعليم بالأمارة العربية المتحدة من قصيدة له بعنوان تحية لندوة العلماء طبع الندوة العالمية للأدب الإسلامي الهند.

ندوة العلماء
والحفاظ على الهوية الثقافية
لمسلمي شبه القارة الهندية

يضم البحث تمهيداً وثلاثة فصول وخاتمة :

- أما التمهيد : فيشمل نبذة عن دخول الإسلام الهند والدول الإسلامية التي قامت به.

- الفصل الأول : لمحة تاريخية عن أحوال المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية بشبة القارة الهندية.

- الفصل الثاني : أبرز التيارات الفكرية على الساحة الهندية.

- الفصل الثالث : ندوة العلماء نشأتها وأهدافها وأنشطتها .

- خاتمة : تتضمن خلاصة البحث وأبرز نتائجه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد ...

شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون موضوع بحثي لنيل درجة العالمية الدكتوراه حول " المدرسة الإسلامية الحديثة في الهند ومنهجها العقدي " وخلال هذه الدراسة استطعت أن أقف على كثير من الأمور الجديرة بالبحث والدرس والوقوف أمامها وتسليط الأضواء عليها.

لعل من أبرز هذه الأمور ما يتعلق بقلعة من قلاع العلم في هذه البلاد والتي كان لها دور عظيم في الحفاظ على التراث الثقافي والهوية الإسلامية لمسلمي شبه القارة الهندية في ظل التيارات العديدة التي راحت تبحث عن مخرج لهذه الأمة من محنتها التي ألمت بها في ظل المستعمر الإنجليزي بعد أن باءت ثورة مسلمي شبه القارة الهندية سنة ١٨٥٧م بالفشل وبعد ما أنشب الإنجليز أظفارهم وأنيابهم في جسد الأمة الهندية فأخذوا يسومون المسلمين بهذه البلاد سوء العذاب لكونهم العقبة أمام سيطرتهم وبسط نفوذهم على الهند .

ففي ظل هذا التردي بدأت طوائف من المسلمين تبحث عن سبيل للخلاص وطريق للنجاة يخلص المسلمين من براثن المستعمر الإنجليزي ولكن كان حال كثير من هذه التيارات وما انتهجته من نهج وسبيل

للخلاص كان سبباً في ازدياد المحنة فمنهم من تمخض نهجه عن عزلة شديدة للمسلمين عن عصرهم الذي يعيشونه بدعوى الحفاظ على ما تبقي للمسلمين من تراث إسلامي .

ومنهم من تمخض نهجه عن إسلامه قياده للغرب فانماعت شخصيته وضاعت هويته بدعوى الأخذ بالثقافة الغربية ومواكبة ركبها حتى يبلغوا قريباً مما بلغوا.

من هنا تبرز قيمة ندوة العلماء بالهند تلك القلعة العظيمة من قلاع العلم التي انتهجت منهجاً وسطاً لا إفراط فيه ولا تفريط في محاولة جادة للجمع بين الحسنيين القديم النافع من التراث الإسلامي والجديد الصالح مما جاءت به الحضارة الغربية مما لا يتعارض مع عقيدة الإسلام وشريعته.

ومن ثم كان من الضروري بسط الحديث في هذا الأمر وإبراز ما قامت به ندوة العلماء من جهد في هذا الجانب لا سيما أن خير هذه الدار ممثلاً في رجالاتها وعلمائها لم يكن حكراً على الهند فحسب وإنما امتد خيرهم وفاض نفعهم حتى عم بلاد الإسلام كلها ، فأصبحت أسماء رجالات ندوة العلماء بالهند حديث القاصى والداني فمن من الأمة الإسلامية من مشرقها إلى معربها لم يسمع بعلمائها كأمثال العلامة شبلي النعماني والعلامة أبي الحسن الندوي والعلامة سليمان الندوى وغيرهم الكثيرين من علماء الندوة ممن شرق صيتهم وغرب بفضل علمهم وإخلاصهم في دعوتهم لله عز وجل ،كل ذلك يجعل لزاماً علينا أن نشيد بذكرهم وأن نبين ما قدموه من

جهد في سبيل الحفاظ على الهوية الإسلامية لمسلمي شبه القارة الهندية، وفي الوقت ذاته الإشادة بعطائهم لأمة الإسلام قاطبة ، فالله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يلهمنا السداد في القول والعمل.

إنه سميع قريب مجيب

تمهيد:

تعرفت شبه القارة الهندية على الإسلام في مهده عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يرتادون شواطئ الهند الغربية في طريقهم إلى جزيرة سيلان والى الصين وجاوه وغيرها من بلدان الشرق الأقصي[1] فكان لهؤلاء التجار قصب السبق في وصول خبر الإسلام إلى هذه البلاد وانتشاره في المدن الساحلية بعدما رأى أهل هذه المدن من هؤلاء التجار نموذجاً رائعاً ومثالاً فريداً في حسن تعاملهم وسمو أخلاقهم وكريم صفاته ، فتأثر أهل هذه البلاد بهؤلاء التجار الذين كانوا دعاة للإسلام بأفعالهم وأخلاقهم مما ترك أكبر الأثر في نفوس أهل هذه البلاد وشرح صدروهم للإسلام فأسلموا بعدما وجدوا في الإسلام خلاصاً لهم من الهندوسية وطبقيتها المجحفة ، فاستطاع هؤلاء التجار أن يهيئوا أرضاً خصبة للدعوة الإسلامية بهذه البلاد حتى غدت كل مدينة من المدن الساحلية الهندية لا تكاد تخلو من جالية إسلامية تباشر عقائدها الإسلامية في حرية تامة[2].

ثم أخذت صلة شبه القارة الهندية بالإسلام والمسلمين تأخذ منحى آخر بعد ما وجه حكام المسلمين أنظارهم إلى هذه البلاد فبدأوا في تسيير حملات عسكرية صوب شبه القارة الهندية لعل أكثرها عدداً وعدةً، وأكبرها أثراً وأبقاها ذكراً تلك الحملة العسكرية التي سبرها الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بقيادة محمد القاسم الثقفي سنة ٢٩ هـ تلبية لرغبة

---

(١) انظر رسالة الدعوة الإسلامية وتطورها بشبه القارة الهندية لمحي الدين الألوائى ص٢.

(٢) العقد الثمين فى فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ،ص٢٣.

ملحة من واليه على العراق آنذاك الحجاج بن يوسف الثقفي بعدما غدت بلاد السند ملجأ للخارجين على الدولة الأموية ، وقد كتب لهذه الحملة العسكرية النجاح الكبير على يدي قائدها الشاب الذي أخذ ينتقل من نصر إلى نصر من غير أن يستعصى عليه جند من جنود الإمارات الهندية حتى وصل إلى " ملتان " في شمال الهند بعدما سيطر المسلمون على جزء كبير من شبه القارة الهندية . ولكن لم يشأ الله -عز وجل- لهذا القائد الشاب أن يواصل مسيرته المظفرة لعوامل خارجة عن إرادته تمثلت في موت عمه الحجاج ثم وفاة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك وبموتهما توقفت تلك الحملة العسكرية التي مهدت الطريق لمن جاء بعد من الحكام المسلمين عرباً أو غير عرب ممن يموا وجوههم شطر شبه القارة الهندية فاتحين . وظلت هذه البلاد التي فتحت على يدي محمد بن القاسم تحت سلطان الدولة الأموية وامتد الأمر إلى الدولة العباسية فلما بدأت دولة العباسيين يدب فيها الضعف أخذت هذه البلاد تنفصل عن مركز الخلافة الإسلامية في بغداد فاستقل بحكمها بعض الأمراء إلى أن انتهي أمر هذه البلاد إلى استيلاء الغزنويين عليها في أواخر القرن الرابع الهجري "(١)

وقد كان استيلاء الغزنويين على هذه البلاد بمثابة إعلان عن انتهاء مرحلة وابتداء أخرى في تاريخ شبه القارة الهندية فقد طويت صفحة من تاريخ هذه البلاد سطر العرب فيها صفحات من ضياء وبدأت صفحة

(١) تاريخ المسلمين في القارة الهندوباكستانية وحضارتهم د/ أحمد محمود السادات من مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية ، ط ثانية سنة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص٥٨.

أخرى على أيدي مجاهدين مسلمين من غير العرب شادوا بهذه البلاد حضارة عظيمة وسطروا صفحات مشرقة لا تقل بحال من الأحوال عما سطره أسلافهم من العرب إن لم تزد ، ثم توالت على بلاد الهند دول إسلامية حكمت هذه البلاد كلها من غير العرب فخلفت الدولة الغورية الدولة الغزنوية فسارت على دربها في الفتوحات ففتحت في عهدها دهلي على يد قطب الدين أيبك الذي اتخذها عاصمة له بعدما استقل بالملك فيها سنة ٦٠٢هـ ١٢٠٥م.، وظلت الأمور تسير على وتيرة واحدة دولة تخلف دولة في حكم بلاد الهند حتى جاءت الدولة التيمورية المغولية سنة ٩٣٢هـ ١٥٢٦ م والتي بلغ معها حكم وسلطان المسلمين بتلك البلاد أوجه فوصل من القوة والشموخ الحد الذي مكث فيه سفير جيمس الأول ملك انجلترا أكثر من سنتين بالهند يحاول مقابلة إمبراطورها المسلم " جهانكير" فلم يظفر بما يريد ، فتضرع أن يأخذ كتاباً يحمله معه إلى انجلترا فرد عليه الوزير الأول قائلاً :

"إنه مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يخاطب أمير جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون " .وكان هذا في أوائل القرن السابع عشر الميلادي . وقد بلغ الحكم الإسلامي للهند ذروته على يدى الإمبراطور المسلم "أورنجزيب " الذي وحد الهند كلها تحت حكمه مما لم يسبق له مثيل من قبل .وكان هذا التمام بداية لعهد آخر مغاير لسابقه الذي نعم فيه المسلمون ، عهد بدأ فيه يدب الضعف والوهن إلى جسد هذه الإمبراطورية الإسلامية بالهند بعدما توالي على حكمها حكام ضعاف لم يتمكنوا من المحافظة على هذا الملك العظيم الشامخ الذي شاده من سبقهم من الحكام المسلمين من المغول بشبه القارة الهندية.

وفي الوقت الذي بدأت تتهاوى فيه هذه الإمبراطورية العظيمة بدأ الغرب عن طريق شركاته التجارية يضع أقدامه بهذه البلاد وبدأ يزداد نفوذ هذه الشركات التي كانت تنتمي إلى دول البرتغال وهولندا وفرنسا وانجلترا تلك الشركات التي كان يُنظر إليها من قبل حكام المسلمين على أنها شركات جاءت تبحث عن الربح التجاري في هذا الملك الإسلامي فإذا بها تسلك مسلكاً آخر تمهد به لشر أضمره الغرب تجاه هذه البلاد، فالغرب مازالت تدوي في مسامعه مقولة وزير الهند الأول لسفير جيمس الأول ملك انجلترا ، وبعد منافسة بين هذه الشركات على هذه الغنيمة العظيمة وهذا الملك المترامي استطاعت شركة الهند الشرقية الإنجليزية أن تنفرد بهذا الصيد الثمين بعدما أزاحت بقية الشركات الأخرى من طريقها فزاد نفوذها وامتد حتى وصل إلى ذروته بإحكام قبضتها على زمام الأمور في بلاط الإمبرطور المسلم نفسه الذي غدا دمية يحركها الإنجليز كيفما شاءوا ووقتما أرادوا . وفي ظل هذا التردي الذي آل إليه أمر الإمبراطورية الإسلامية بالهند والنفوذ الذي وصل إليه الإنجليز من خلال شركة الهند الشرقية الإنجليزية رأى المسلمون أنه لا خلاص لهم من هذا المستعمر وشروره إلا بالثورة، فكانت ثورة ١٨٥٧م والتي لم يكتب لها النجاح لأسباب سنذكرها فيما بعد وانتهى الأمر إلى إعلان الملكة فكتوريا ضم شبه القارة الهندية إلى التاج البريطاني سنة ١٨٥٨م [1]لتطوي بذلك صفحة مضيئة من تاريخ شبه القارة الهندية نعم الهنود فيها باستقرار وتوحد وازدهار لم يعرفه تاريخ هذه البلاد على امتداده .

(١) أبو الكلام آزاد المصلح الديني في الهند. د/ عبد المنعم النمر من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٢٧ وما قبلها.

الفصل الأول

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمسلمي شبه القارة الهندية

أولاً : الحالة السياسية :

عاش المسلمون بشبه القارة الهندية قروناً ينعمون في ظل الإمبراطورية الإسلامية التي شادها المغول في هذه البلاد طالما كانت هذه الإمبراطورية قوية، فلما بدأ الضعف يسرى في جسد هذه الإمبراطورية وأخذ الوهن يدب في كيانها أخذت أحوال المسلمين تتبدل شيئاً فشيئاً .

فبعد أن كانت الكلمة للمسلمين وبيدهم مقاليد الأمور في ظل إمبراطورية إسلامية شامخة أخذت قبضة الحكام المسلمين من المغول تضعف رويداً رويدا في ظل تنامى نفوذ الشركات الغربية التي نزلت بلاد الهند ترتدي ثوب التجارة وهي في حقيقة الأمر تبطن سوءاً وتضمر حقداً للإسلام والمسلمين بهذه البلاد والتي كان حكام المسلمين ينظرون إليهم نظرنهم لتاجر يريد أن يكسب مالاً من وراء تجارته بهذه البلاد الشاسعة فلم ينتبهوا لهذا الخطر الداهم الذي استشرى وانتشر انتشار النار في الهشيم فلم يفق حكام الهند إلا بعد أن بسطت شركة الهند الشرقية الإنجليزية نفوذها على معظم أرجاء الهند وامتد نفوذها إلى البلاط السلطاني نفسه حتى غدت الأمور في نهاية المطاف إليهم وبأيديهم وما الإمبراطور ووزرائه إلا دمى تحركها يد الإنجليز من وراء ستار فهم الذين بيدهم الحل والعقد ، وهم الذين يصرفون أمور البلاد والعباد.

وكانت هذه اللحظة لحظة فاصلة فارقة بين عهدين للمسلمين، عهد كانوا سادة هذه البلاد الذين بيدهم مقاليد الأمور وعهد آخر بدا منذ اللحظة الأولي يحمل بين طياته شراً عظيماً وخطراً كبيراً على الإسلام والمسلمين .

وكانت هذه الحالة السياسية المتردية التي آل إليها أمر البلاد داعية إلى قيام عدد من الأمراء المسلمين الذين كانت لديهم بقية من حمية على الإسلام إلى قيامهم بثورات على الإنجليز فقام الأمير سراج الدين في البنغال سنة ١٧٧٠هـ/ ١٧٥٧م بالهجوم على حصون الإنجليز ليريح البلاد من أخطارهم وشرورهم ولولا خيانة بعض قواده لتحقق له ما يصبو إليه ، فأدركته الهزيمة وقبض عليه وقتل.

وفي الجنوب قام "حيدر على" سنة ١١٩٥ هـ-١٧٨١ م وابنه السلطان "تيبو "بالثورة على الإنجليز حتى كاد أن يقضي عليهم لولا استمالة الإنجليز لبعض أمراء الولايات وخيانة نفر من قواده فدارت عليه الدوائر فهزم القائد السلطان "تيبو" ولقي الله شهيداً .

ولم يكن الإنجليز خلال هذه الفترات التي توالت فيها الثورات يحسنون معاملة مسلمي الهند بل كلما تمكنوا من القضاء على ثورة أمير من الأمراء كلما ازداد بطشهم وجبروتهم حتى غدت الهند كلها تتميز غيظاً وحنداً على الإنجليز فقامت بالهند سنة ١٨٥٧م ثورة عارمة تزعمها المسلمون وشارك فيها الهندوس [1] واستمرت هذه الثورة التي شملت

(١) انظر كفاح المسلمين في تحرير الهند،د/ عبد المنعم النمر ، طبعة الهيئة العامة للكتاب ، ص١٤-١٧.

معظم ولايات وإمارات الهند مدة عشرة شهور ولكن لم يكتب لهؤلاء الثوار النجاح لأسباب عدة منها:

أولاً : أن الثورة جاءت متأخرة بعد ما سري الداء وتمكن وبعدما أنشب الإنجليز أنيابهم في جسد الإمبراطورية الإسلامية بالهند فى وقت بلغت فيه من الضعف حداً كبيراً .

ثانياً : أن الثورة لم تقم في توقيت زمنى واحد مما أتاح للإنجليز فرصة الإجهاز على الثوار والقضاء عليهم واحداً تلو الآخر.

ثالثاً : انضمام السيخ للإنجليز للتنفيس عن حقدهم تجاه المسلمين .

رابعاً : موقف حكام الجنوب لا سيما نواب حيدر آباد الذين وقفوا إلى جوار الإنجليز.

خامساً: التفرق والتنازع بين الثوار أنفسهم مما جعل الثورة تهزم داخلياً بسبب الأهواء والمطامع قبل أن يهزمها الإنجليز ، والخيانة المتمثلة في نفر من ضعاف النفوس الذين كانوا يندسون بين الثوار ثم ينقلون أخبارهم للإنجليز مثل الميرزا إلهي يخش صهر الملك المغولي[1].

لهذه الأسباب وغيرها فشل الثوار في القضاء على الحكم والاستعمار الإنجليزي للهند ، وأحكم الإنجليز قبضتهم على مقاليد الأمور وأخذوا يسيمون المسلمين سوء العذاب ويصبون عليهم جام غضبهم وسخطهم وفعلوا بالمسلمين من أبناء الهند الأفاعيل ، فعملوا على إذلالهم واستباحة

(١) انظر الإمام عبد الحميد اللكنوى علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء تأليف ولي الدين الندوى ، ط دار العلم ، دمشق ط أولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص٢٣-٢٤.

دمائهم والتنكيل بهم ومطاردتهم أينما وجدوا وتضييق سبل العيش عليهم ، وتم القبض على الإمبراطور المسلم سراج الدين أبو ظفر شاه الذي كان الثوار قد اتخذوه زعيماً ورمزاً لثورتهم ، وقام الإنجليز بقتل ثلاثة من أبنائه وقدموا رؤوسهم له في أطباق على مائدة طعامه إمعاناً في قهره وإذلاله ، وحوكم بتهمة الثورة وحكم عليه بالإعدام ، ثم خفف الحكم إلى النفي إلى مدينة " رانجون "عاصمة "بورما" وتم إبعاده وأسرته إليها ونفيه بها في أكتوبر ١٨٥٨م وظل في منفاه حتى توفي سنة ١٨٦٢م / ١٢٧٩هـ.

وبادر الإنجليز في استثمار الفرصة السانحة لهم والنصر الذي حققوه على الثوار فأعلنت الملكة فكتوريا ملكة انجلترا سنة ١٨٥٨م قراراً بنقل حكم الهند من شركة الهند الشرقية الإنجليزية وضمها إلى التاج البريطاني .

ومنذ هذه اللحظة بدأت مرحلة أخرى من مراحل الكفاح من مسلمي الهند ضد المستعمر الإنجليزي الذي بسط سلطانه على الهند وقرب الهندوس منه وأولاهم عنايته على حساب المسلمين أصحاب الملك والسلطان بهذه البلاد واستمرت هذه المرحلة قرابة قرن من الزمن دفع المسلمون خلالها الكثير من دمائهم وأموالهم في سبيل إجلاء المستعمر الإنجليزي عن شبه القارة الهندية .

ثانياً : الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

ألقت الحالة السياسية المتردية بشبه القارة الهندية ظلالها على كل زاوية من زوايا المجتمع الهندي وكل جانب من جوانبه فللسياسة أثرها الذي لا ينكر على أي مجتمع من المجتمعات سلباً وإيجاباً .

والمجتمع المسلم بشبه القارة الهندية لا يكاد يعرف منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي للاستقرار طريقاً على نحو ما بيناه آنفاً .

ومن ثم عاش المسلمون في شبه القارة الهندية حياة اقتصادية متدنية بعد ما انتهج المستعمر الإنجليزي معهم سياسة الإقصاء عن المهن والوظائف المرموقة وبعدما أخذوا يضيقون عليهم سبل العيش ويمعنون في إهانتهم وإذلالهم فصار المسلمون في فقر مدقع بعدما كانوا سادة هذه البلاد وأصحاب الثراء فيها ، وقد احتال الإنجليز بحيل عديدة في سبيل تحقيق هدفهم نحو كسر شوكة المسلمين وإضعافهم اقتصادياً فضاعفوا ديونهم ، وساعدوا المرابين الهندوس على انتزاع أملاكهم وسدوا في وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة[1] .

وقد أدت سياسات الإنجليز في حكم الهند ونهب خيرات بلاده إلى وقوع القحط في البلاد من عام ١٨٥١م إلى عام ١٨٧٥م سبع مرات مات فيها ستة ملايين أو عشرة ملايين شخص ومهما قيل عن تردي أحوال شبه القارة الهندية اقتصادياً وسياسياً على يد الإنجليز عنها في ظل الحكم الإسلامي لها فلن يكون أبلغ من هذه الشهادة التي نطق بها اللورد وليم بتينك حاكم الهند حيث قال: "أكثر الأشياء كانت في عهد الحكومات الإسلامية أحسن مما في عهد الإنجليز، فالمسلمون سكنوا البلاد التي فتحوها واختلطوا بأهلها وتزوجوا منهم وأعطوا الحقوق كلها لأهل الهند ، وكانت

---

(١) أبو الكلام آزادالمصلح الدينى في الهند ص٢٨.

الفـاتح والمفتوح سـواء في المزاج والـعواطف والمـودة ، وعلى عكـس ذلك كانت سياسة الإنجليز في الـهند فإنهم لم يـشركوهم معهـم في أي أمر من أمور الحكومة ، ومن جـانب آخر نشبوا أظفارهم في خيـرات البلاد وقبضوا على كل شيء أ.هـ" (١).

أما الحالة الاجتماعية : فلم تكن أيضاً بأقل سوءاً من الحالتين السياسية والاقتصادية فبعدما أحكم الإنجليز قبضـتهم على البلاد بدأ يظهر تحول كبير في المجتمع الهندي الذي وقع تحت تأثير الهزيمة المدوية التي منيت بها ثورته، والتي كان يأمل مـن ورائها الخلاص من الإنجليز وجبروتهـم . فبدأت تظهر في المجـتمـع الهـندي المسـلم أمـوراً لم يـعهدها أهلـه من ذي قـبل فـشاع الانحلال الأخلاقي في ظل الدعوة إلى التـغريب والسير في ركاب الحضارة الغربية وكان في مـقدمة وطليعة هؤلاء السيد / أحمـد خان مؤسس جامعة عليـكره الذي دعا إلى الأخذ بـالحضارة الغربـية في كل جانب مـن جوانب الحياة دونما تفـرقة بين ما يصلح منهـا ويتواءم مع المسلمين وعقـيدتهم ومالا يتواءم ،وقد كان لهذه الدعوات أثرها على المجـتمع الهندي فشاعت المفاسد وانتـشرت الخلاعة والمجـون وأخذ النـاس في محـاكاة الغرب فـي لباسـهم ومظهرهم "وكانت الطـبقة الأرستقراطية أكثر طبقات المجتـمع الهندي تأثراً بهـذه الدعوات فأصـبح النـساء من هذه الـطبقة يـخرجن مـن بيوتهـن في ملابس شفافة عـارية، . واصبح يرى فيهن الجسارة والصـفافة .. وقل الحياء

---

(١) الإمام عبد الحى اللكنوى علامة الهند ص٣١.

فيهن إلى حد أن أصبحن لا يستحين من الغسل مع الرجال شبه عاريات بل من عرض أنفسهن على تلك الحال لتؤخذ صورهن وتنشر في المجلات أ.هـ "(١).

ثالثاً: الحالة الدينية:

مثلما كان للاستعمار الإنجليزي أثره على الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية امتد أثره إلى الناحية الدينية لاسيما وأن الإنجليز يدركون أن المسلمين هم الذين يخشى خطرهم وأنهم العقبة الكئود أمام تحقيق ما يرجون من هيمنة على شئون شبه القارة الهندية وسيطرة عليها، فهم يعلمون أن المسلمين يتوقون إلى إرجاع ملكهم الذي سلبه الإنجليز منهم وأنهم يستمدون قوتهم من عقيدتهم وإيمانهم الذي من ثوابته وأركانه الجهاد في سبيل الله ضد كل غاصب أو محتل وأنهم لن يهدأ له بال إلا بعد أن يتحقق لهم النصر على الإنجليز وإجلاؤهم.

ومن ثمة أخذ الإنجليز يبحثون عن الوسائل التي تضعف صلة المسلمين بدينهم وعقيدتهم ،فألغيت المحاكم الشرعية ، واستبدل القانون الإفرنجي بالقانون الإسلامي ، كما استبدل نظام التعليم الإسلامي فأنشئت المعاهد التعليمية العصرية والمدارس التبشيرية في طول البلاد وعرضها "(٢).

ونشطت هذه المدارس في تدريب المنصرين الذين انتشروا في القرى والمدن يدعون الناس إلى النصرانية جهاراً نهاراً ويشنعون على العقيدة

---

(١) الحجاب لأبي الأعلي المودودي ، ص ١٢٩-١٣٠، ط دارالفكر.

(٢) أبو الأعلى المودودي . حياته ، ودعوته لأليف الدين الترابي ط دار القلم، كويت ، ط أولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧، ص٧٦.

الإسلامية والشريعة السمحاء ويعلنون أن دولة الإسلام قد زالت وأن عهده قد انقضى» [1].

وحمل الحكام الإنجليز القساوسة على كتابة الكتب ونشر الرسائل المحشوة بالطعن في الديانة الإسلامية مفعمة بالشتائم والسباب لصاحب الشريعة محمد ﷺ - برأه الله مما قالوا- [2].

ولم ير الإنجليز في ذلك كله الكفاية لتحقيق أهدافهم الخبيثة في إضعاف عقيدة المسلمين، وتوهين صلتهم بدينهم فأوعزوا إلى الميرزا غلام أحمد القادياني القيام بنشر ضلالاته بين مسلمي شبه القارة الهندية برعاية وعون منهم حتى يحدث صدعاً في بنيان المجتمع المسلم بهذه البلاد فادعي النبوة وأنكر ختمها نبينا محمد ﷺوأحدث فتنة عظيمة بالهند ونادى بإبطال فريضة الجهاد وضرورة الولاء للإنجليز [3]وقامت حركة أخرى لم تقل خطراً عن القاديانية بتأييد ومباركة من الإنجليز أيضاً تمثلت في حركة إنكار السنة النبوية كمصدر ثان للتشريع "[4].

وفي ظل هذه الحالة المتردية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً بشبه القارة الهندية ظهرت على الساحة الفكرية الإسلامية بالهند تيارات عدة تبحث عن خلاص للمسلمين مما نزل بهم مما سيكون موضع بحثنا ودراستنا في الفصل الثاني إن شاء الله .

---

(١) الإمام عبد الحي اللكنوى ، علامة الهند ، ص٣٣.

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، ص١٢.

(٣) انظر حديثنا عن القاديانية في بحث دراسات في التيارات الفكرية المعاصرة للباحث ، ص٢٠٩ وما بعدها.

(٤) أبو الأعلى المودودى حياته ودعوته ص٨٣.

الفصل الثاني

أبرز التيارات والمدارس الفكرية على الساحة الهندية

- المدارس الدينـــية .
- حركة سيد أحمد خان.

تمهيد :

أحدث استيلاء الإنجليز على أزمة الأمور بشبه القارة الهندية بعد فشل ثورة ١٨٥٧م هزة عنيفة في حياة مسلمي شبه القارة الهندية لاسيما أن الإنجليز قد أحسنوا استثمار هذا الحدث في إحكام سيطرتهم على شبه القارة الهندية وإذلال المسلمين مما ترك أثراً سيئاً على شتى مناحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على نحو ما بيناه آنفا.

ولكن هذا الحال لم يدم كثيراً فقد بدأت تبرز على الساحة الفكرية الهندية تيارات تبحث عن سبيل للنهوض بهذه الأمة من عثرتها ووسيلة للخلاص من الاستعمار الإنجليزي وعسفه .

ولعل أبرز هذه التيارات :

أ- المدارس الدينية.

ب- حركة سيد أحمد خان.

فقد حاول كلا التيارين أن يختط لنفسه منهجاً ويتخير طريقاً للخلاص من هذه المحنة ، وسنعرض في الصفحات التالية لكلا التيارين لنلقي الضوء على المنهج الذي ارتآه كل منهما سبيلاً للخلاص ثم نبين ما تمخض عنه كل واحد منهما من إيجابيات وسلبيات .

أولاً : المدارس الدينية :

اختص الله -سبحانه وتعالى- شبه القارة الهندية بنخبة من رجال الدين على امتداد تاريخها الإسلامي كانوا من أقوى علماء العالم الإسلامي شخصية دينية، ومن أكثرهم رسوخاً في الدين ، وزهداً في الدنيا وإيثاراً للآخرة ، وغيرة على الإسلام ، وجهاداً في سبيله بالنفس والنفيس[1] .

ومن ثم فقد كان الأمل معقوداً على هؤلاء العلماء لإيجاد وسيلة ومخرج للأمة المسلمة بالهند مما ألم بها على يد المستعمر الإنجليزي .وقد كان علماء الدين بهذه البلاد على قدر المسئولية وعند ظن عامة مسلمي شبه القارة الهندية بهم ،فكانوا أسبق الناس إلى محاولة إيجاد طريق ووسيلة للخروج من هذه المحنة بعدما رأوا أن الاستعمار قد قضى تماما على الدولة الإسلامية المغولية، التي كانت على علاتها حصناً للإسلام والمسلمين في الشرق الإسلامي، وأنه أحكم قبضته على هذه البلاد وأنه يحاول بكل ثقله السياسي والاقتصادي والتعليمي أن يطمس معالم الإسلام في هذه الأرض وأن يجعلها أثراً بعد عين، ويخلق أندلساً أخرى في الشرق، ويحل حضارته وثقافته محل الحضارة والثقافة الإسلامية ورأوا أن الإسلام وحده هو الهدف الحقيقي وأن المواجهة والمجابهة ليست إلا بين المسيحية والإسلام ورأوا أنه لا سبيل إلى مجابهته في القريب العاجل في الميدان بقوة الساعد والسنان، فمالوا إلى إنشاء قلاع دينية في صورة المدارس والجامعات الإسلامية يربى

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية لأبي الحسن الندوى ، ط دار الفكر ، الكويت ، ط خامسة ، ١٩٨٥، ١٤٠٥هـ ص٥٩.

داخلها النشء الإسلامي على التربية الإسلامية ويثقف بالثقافة الإسلامية ... ويعد بداخلها جيل جديد هندي في جنسيته ودمه ولونه، حجازي محمدي في دينه وعقيدته وتفكيره ومنهج حياته، يقاوم كل المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ويعمل على محاربة الاستعمار وإزالة ضبابه الكثيف الخبيث عن جو هذه الأرض وسمائها[1] فقاموا بإنشاء مدارس دينية تعنى ببث روح الجهاد في مسلمي الهند ، والمحافظة على التراث الإسلامي -بعيداً عن هدير حضارة المستعمر المادية- ليكون زاداً للمسلمين يجعلهم محتفظين بهويتهم الإسلامية الخالصة .

ولم يكن ذلك المسلك الذي سلكه علماء الهند معبداً وإنما كان مليئاً بالصعاب فقد واجهوا صعوبات جمة منها القسوة الشديدة التي عاملت بها الحكومة الإنجليزية المسلمين عامة ورجال الدين منهم خاصة معتبرة إياهم أصحاب التدبير والتفكير لثورة ١٨٥٧م ، ومنها تلك السرعة الزائدة التي كانت الحضارة الغربية تنتشر بها بشبه القارة الهندية مما كان له أبرز الأثر على عقيدة المسلمين وعلى أخلاقهم .

والحديث عن المدارس الدينية بالهند يطول ولذا سنقصر حديثنا على واحدة من هذه المدارس الدينية لما لها من المكانة والتأثير على المجتمع الإسلامي بالهند بل تعداه إلى كثير من الأقطار الإسلامية فهي أعلى المدارس الدينية بالهند شأناً وأكثرها عطاءً ومن ثم أطلق عليها العلماء لقب

---

(١) انظر المسلمون في الهند بين خدعة الديمقراطية وأكذوبة العلمانية تأليف نور عالم خليل ، ط دار الصحوة للنشر ، ط أولى سنة ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ، ص٧٧ بتصرف كبير.

"أزهر آسيا"[1] تشبيها لها بالأزهر الشريف من حيث المكانة وهي مدرسة "دار العلوم ديوبند "

مدرسة دار العلوم ديوبند:

- نشأة دار العلوم والأسس التي شيدت عليها :

كانت بداية هذه القلعة العلمية على يد الشيخ محمد قاسم نانانوى الذي يرجع إليه الفضل في تأسيسها سنة ١٨٦٦م [2] في مسجد صغير يسمى "تشتى" ببلدة " ديوبند " وهي بلدة تقع شمال دهلي بنحو تسعين ميلاً من بلاد مديرية "سهارنبور " بطالب واحد هو "محمود الحسن " ، وأستاذ واحد هو " ملاقاري محمود " وتحت إشراف العارف بالله مولانا رشيد أحمد الجنجوهي [3]وقد وضعت أسس لكي تنهض عليها هذه المدرسة حتى تستطيع تحقيق رسالتها وما يعقد عليها من آمال تمثلت فيما يلي :

١- الزهد والتضحية وبذل الجهد من القائمين عليها .

٢- يعمل القائمون عليها على توفير الطعام لتغذية الطلبة باستمرار حتى يتفرغ الطالب لاكتساب العلم .

٣- يتشاور القائمون على المدرسة فيما يخص صالح المدرسة مع مراعاة أن تكون الآراء صادقة، ولخدمة أهداف المدرسة دون اعتبار لمصلحة شخصية أو تحزبات .

---

(١) كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص٣٣.

(٢) التيارات الإسلامية في الهند سنة ١٨٥٨م-١٩٤٧م ، رسالة ماجستير في الدراسات الآسيوية للباحث ممدوح علي حجاج يوسف ، ص٩٧.

(٣) كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص٣١-٣٢ بتصرف.

٤- الإخلاص والتفاني في العمل من القائمين على المدرسة سواء كانوا إداريين أو مدرسين .

٥- أن يكون للمدرسة مناهج محددة يشرف على وضعها الأعضاء القائمون عليها كما يجب أن يكون هناك جداول دراسية لتنظيم العمل بها .

٦- عدم قبول تبرعات من الحكومة أو الحكام حتى لا يتدخلوا في شئونها.

٧- قبول التبرعات الصادقة الخالية من الأغراض [١].

- أهداف دار العلوم ديوبند :

وقد كانت لهذه المدرسة أهدافها التي كانت الباعث والمحرك لهؤلاء العلماء على تأسيسها ومن أبرزها :

أ- المحافظة على التراث والثقافة الإسلامية ولغتها العربية ، ومن ثم سلكت المدرسة في مناهجها التعليمية منهجاً تقليدياً يعنى بالمحافظة على التراث القديم فاهتمت بتدريس العلوم الدينية ، بجانب كتب النحو والبلاغة وكتب المنطق وفلسفة اليونان وشروحها، والتعليقات عليها . وكان هذا هو النمط السائد في المدارس الدينية الأخرى بشبه القارة الهندية .

ب- محاربة الثقافة الغربية الإنجليزية والحيلولة بينها وبين الغزو الفكري والخلقي للمسلمين فقد تبنت المدرسة الاتجاه الرافض للحضارة الغربية وكان علماؤها ومؤسسوها هم أول من نادى بهذا الموقف من الغرب وحضارته[٢].

---

(١) انظر التيارات الإسلامية في الهند للباحث ممدوح علي حجاج ، ص ١٤ بتصرف يسير.

(٢) المدرسة الإسلامية الحديثة في الهند ومنهجها العقدى ، رسالة دكتوراه للباحث، ص١٨٢، ١٨٣.

ج- وكان من أهداف دار العلوم ديوبند أيضاً حفظ روح الجهاد في مسلمي الهند فلم يك مؤسسوا هذه المدرسة ينظرون إليها كمعهد يقوم بتدريس العلوم والمواد الدراسية ويخرج الفقهاء والمعلمين فحسب ، بل كانوا ينظرون إليها كمركز وثكنة تخرج المكافحين الذين يفتحون جبهة جديدة للكفاح "[1] ومن أجل ذلك عملوا على غرس روح التحرر من نير المستعمر في نفوس الطلبة. بجانب تعلمهم علوم الدين ، فقد عمل علماء ديوبند على إعطاء الطلبة جرعة كبيرة من السخط والكراهية ضد الإنجليز وأعوانهم ومن ذلك قيام العلماء بقص قصص الشهداء المسلمين في حرب التحرير على الطلبة حتى يوغروا العداء في قلوبهم ضد الإنجليز "[2].

د- وكان من بين هذه الأهداف أيضا حماية الإسلام من هجمات التنصير فبعد زوال سلطان المسلمين وسيطرة الإنجليز على الهند بدأت الإرساليات المسيحية الغارة على شبه القارة الهندية فحملوا القس والرؤساء الروحانيين على كتابة الكتب ونشر الرسائل محشوة بالطعن في الديانة الإسلامية وترجمت الكتب المقدسة باللغة الأردية واللغات المحلية الأخرى وصدرت الكتب والبحوث تضم شبهات حول الإسلام [3] غير أن علماء ديوبند وقفوا لهذه الهجمة التنصيرية الشرسة بالمرصاد فردوا على هؤلاء افتراءاتهم ودحضوا مزاعمهم وكان اللسان هو سلاحهم في هذه

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص٦٠.

(٢) التيارات الإسلامية في الهند، ص١٠١.

(٣) أبو علي المودودي حياته ودعوته لأليف الدين الترابي ، ط دار العلم ، الكويت ، ط أولى سنة ١٩٨٧، ١٤٠٧هـ.

المواجهات التي خاضوها فاستخدموا الخطب والمناظرات لدحض افتراءات المنصرين ضد الإسلام .[1]

هـ- ولم يغفل مؤسسو دار العلوم ديوبند ما للتربية الباطنية من أهمية فجعلوها هدفاً أيضاً من أهدافهم التي سعوا إلى بلوغها فقد كانوا على وعى تام بأهمية إصلاح داخل المسلم حتى يكون إنساناً صالحاً، يقوى على تحمل المسئوليات الجسام ،فاهتم هؤلاء العلماء بغرس التقوى في نفوس طلابهم وتربيتهم على المثل والأخلاق الإسلامية العالية [2].

- مدرسة دار العلوم في الميزان :

لاشك أن مدرسة دار العلوم ديوبند ورجالها كان لهم من الإسهامات الإيجابية مالا ينكر، فقد أدت دور الحارس الأمين والمرابط اليقظ في صيانة الكيان الإسلامي والحفاظ على شعائر الإسلام في هذه الديار ومنعت الهند من أن تتحول أندلساً أخرى ووقفت دون إرادة الصليبية التي حاولت أن تنتقم من الإسلام في هذه الديار[3] فلا يستطيع أحد أن ينكر على هؤلاء الأعلام إخلاصهم وغيرتهم الشديدة على الإسلام وجهادهم الكبير في سبيل الحفاظ على التراث الإسلامي لمسلمي شبه القارة الهندية، ومن حسناتهم أيضاً إسهامهم في تماسك الشعب الهندي المسلم إلى حد ما أمام الحضارة الغربية وتيارها الجارف، فقد كان لدار العلوم ديوبند مركز الزعامة

---

(١) التيارات الإسلامية في الهند ،ص١٠٢.

(٢) التيارات الإسلامية في الهند ، ص١٠١.

(٣) المسلمون فى الهند لنور ، عالم خليل ،ص٧٨.

في هذا الاتجاه وكان من إيجابيات دار العلوم ديوبند أيضا إذكاء روح الجهاد في نفوس الشعب الهندي المسلم في مواجهة المستعمر الإنجليزي مما أدى إلى وجود أجيال من المجاهدين المسلمين كانت لهم -بمساندة من الهندوس - اليد الطولى في ألا يهنأ المستعمر أو يقر له قرار بأرض الهند وأن ينتهي به المطاف إلى أن يحمل عصاه ويرحل عن هذه البلاد.

ولكن بالرغم من هذه الإيجابيات التي تمخض عنها هذا الاتجاه إلا أنه أفرز جملة من السلبيات كان من أبرزها :

أ- المغالاة في التعصب ضد كل ما يمت للحضارة الغربية بصلة من غير تمييز بين ما تضمه هذه الحضارة من جوانب سلبية ضارة وأخرى إيجابية نافعة ،فقد أعرضوا عنها بالكلية بزعم أن كل ما يأتي من قبل الغرب شر محض يجب مجافاته والبعد عنه ،فحرموا بذلك أنفسهم ومن لف لفهم وسلك مسلكهم الاستفادة من الجوانب الإيجابية التي اشتملت عليها تلك الحضارة الغربية.

ب- أن أصحاب هذا الاتجاه حين عنوا بالتراث الإسلامى والمحافظة عليه، لم يولوا هذا التراث نفس العناية من حيث نقده وتمييز الخالص النقي منه من الرديّ الذي علق به وأضيف إليه حتى غدا هذا التراث بما شابه من شوائب عقبة كئوداً في سبيل النهضة الإسلامية الصحيحة .

ج- أن أصحاب هذا الاتجاه وهم يعنون بالمحافظة على التراث الإسلامي حصروا جهودهم في كتب وشروح ومقررات للدرس ورثوها عن شيوخهم ، دون أن يربطوا بين ما درسوه وبين ما يتطلبه العصر الحاضر

من علوم وآداب .. فأعرضوا عن مجاراة الزمن ، ومراقبة سير الحوادث عن كثب ، فأصبحوا بمعزل عن شئون الدنيا .. وكذلك أصبح العالم وشئونه الجديدة في غنى عن خدماتهم ومساعدتهم، وقد ألقت هذه النظرة القاصرة لأصحاب هذا الاتجاه بظلالها على طبقات المجتمع الهندي إذ لم يعد في هذا التراث الممزوج بالغث والسمين ،البعيد عن حاجات العصر ما يجذب أهل الثراء والروية، وما زالت رغبتهم فيه وانجذابهم إليه تقل يوماً فيوماً، وفي الجانب الآخر كانت الحضارة الغربية تتقدم بأدواتها الآخذة بالألباب" .

د- ومن بين هذه السلبيات التي تمخض عنها هذا الاتجاه تنحي أهله عن قيادة المسلمين بالهند ، مما أعطى الفرصة لطبقة المثقفين ثقافة غربية ، والذين ربوا على موائد الغرب ورضعوا لبانه ، أن يمتلكوا زمام الأمور وأصبح إرشاد المسلمين وزعامتهم في جميع شئونهم من التعليم ، والاجتماع ، والاقتصاد ،والسياسة بأيديهم .. أما أهل الدين فلا ناقة لهم بهذا الشأن ولا جمل.

وهكذا تلاقي هذا الموقف الذي سلكه علماء الدين بالهند ، من غير قصد مع ما كان يهدف إليه المستعمر من رغبة في إبقاء هذه المجتمعات ترزح تحت نير التخلف والجهل ،ورغبته في قتلهم علمياً ومالياً ،وإبعادهم عن الحياة العامة .[1]

(١) انظر المدرسة الإسلامية الحديث في الهند ومنهجها العقدى للباحث ص١٨٤-١٨٦.

ثانيا : حركة سيد أحمد خان:

كانت أحوال المسلمين بشبه القارة الهندية الشغل الشاغل لجموع المسلمين بها، فلم يكن الأمر وقفا على علماء الدين وحدهم ولكن بجانب جهود هؤلاء العلماء كانت هناك جهود أخرى بذلها وقام بها المفكرون المسلمون بالهند في محاولة لإيجاد طريق آمن للمسلمين يمكنهم من تخطي هذه الشدة واجتيازها.

والحديث عن هؤلاء المفكرين على سبيل الاستقصاء ليس مقصود هذه الدراسة ولذا سيقتصر حديثنا على شخصية واحدة لمفكر مسلم هو العلامة سيد أحمد خان الذي أحدث أثرا عظيما في المجتمع الهندي كله ولا نكاد نجد شخصية تماثل شخصيته في اختلاف أقوال العلماء فيه ونظرتهم إليه فمنه من يعده واحدا من زعماء الإصلاح بشبه القارة الهندية فيعلي مكانته ويرفع قدره(١) ومنهم من يصفه بالإلحاد والمروق فيزري به ويكاد يذهب إلى أن المذهب القادياني قد انبثق من الحركة التجديدية التي قام بها سيد أحمد خان(٢) (٣) ومنهم من ينظر إليه بنظرة فيها موازنة بين إيجابيات فكره وسلبياته فلا يرتفع به إلى عنان السماء ولا يهبط به إلى الحضيض. (٤)

---

(١) انظر زعماء الإصلاح أ/ أحمد أمين ،ط مكتبة النهضة ، ط ثالثة ، سنة ١٩٧١، ص١٢٩وما بعدها.

(٢) انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار د/ محمد البهي ، ص١١ وما بعدها.

(٣) عرض السيد أبو الحسن الندوي لهذه القضية في كتابه الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ورد عليها مبينا أن السيد أحمد خان قد أنكر على مؤسس القاديانية ادعاء النبوة وعارضه، وأن قصاري الأمر أن الجو الذى هيأه سيد أحمد خان قد ساعد في انتشار القاديانية وقبول آراء صاحبها ، راجع الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٦٩ هامش٥٣.

(٤) انظر الصراع بين الفكر الإسلامي والفكرة الغربية ،ص٧٢.

ومن ثم فلا بد لنا من التعريف بـه ونشأته ومنهجه الذي رضيه لإصلاح أحوال المسلمين بالهند ثم نزن منهجه هذا بماله وما عليه...

سيد أحمد خان، حياته ونشأته:

ولد سيد أحمد خان بن السيد محمد متقى في ١٧ أكتوبر سنة ١٨١٧م لأسرة أرستقراطية، وقد توفي والده وهو في التاسعة من عمره بعد أن ثقفه ثقافة دينية على عادة أهل زمانه فقرأ المتوسطات في العلوم العربية وعني بعلوم الهيئة والهندسة عناية خاصة وتولى الوظائف والقضاء في الحكومة الإنجليزية، وألف كتباً ذات قيمة علمية في التاريخ، وتولى تصحيح بعض الآثار العلمية والمؤلفات القديمة، وأشرف على ضبطها ونشرها، وأنشأ مجمعا علميا للترجمة والتأليف والنشر. وأصدر مجلة تهذيب الأخلاق ...(١)وقد كان سيد أحمد خان رجلا مرهف الحس حاد الذهن قوي العاطفة سريع الانفعال جريئا في إبداء الرأي(٢)على صلة قوية بالإنجليز وتوثقت صلته بهم بعد أن ساندهم ووقف بجانبهم إبَّان ثورة ١٨٥٧م التى قام بها المسلمون والهندوس ضد المستعمر الإنجليزى، فقد خالف السيد أحمد خان قادة هذه الثورة؛ إذ كان يرى أن مقاومة الاستعمار فى ظل عدم تكافؤ القوى يعد ضرباً من التهور الذى لا تؤمن عواقبه، بل إنه بالغ فى موقفه هذا فقام بحماية كثير من الأسر الإنجليزية من فتك الثوار بها، وبذل فى سبيل ذلك جهداً كبيراً، مما جعل كثيراً من المسلمين بالهند يتهمونه

(١) زعماء الإصلاح أ/ أحمد أمين ،ص١٣٣.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص٦٣، ٦٤.

بالخيانة وينفرون منه، وفى الوقت نفسه زادت صلته وتوثقت بالإنجليز[1]، ثم زار السيد أحمد خان إنجلترا سنة١٨٩٦م، فلقى حفاوة بالغة من الإنجليز، ونال الوسام الملكى، ولقب الشرف، وقابل الملكة، وولى العهد، والوزراء الكبار، واختير عضواً فخرياً فى الجمعيات العلمية ذات الشرف الكبير فى إنجلترا[2].

وقد اطلع السيد أحمد خان فى زيارته هذه -التى شملت فرنسا أيضاً- على الحضارة الغربية فى أوج مجدها، وعنفوان قوتها؛ فشغف بها شغفاً كبيراً، ولكنه شُغِل بمشاهدة الجوانب المشرقة لهذه الحضارة -المتمثلة فى الرقى المادى- عن مشاهدة جوانب الضعف فيها، والتى تمثلت فى الجوانب الخلقية والروحية ... فأعجب بهذه الحضارة، وبالمجتمع الذى يمثلها إعجاباً ملك عليه النفس والفكر، ولما رجع إلى الهند أصبح داعياً متحمساً إلى تقليد الحضارة الغربية، وإصلاح المجتمع الإسلامى الهندى على أساس تقليد المجتمع الأوروبى ومبادئه وقيمه، وتبنى هذه الدعوة بكل إخلاص وحماسة ووهب لها مواهبه كلها، وأصبحت نظرته مادية بحتة، تخضع للقوى الطبيعية والسنن الكونية -كما يفهمها- خضوعاً زائداً[3].

وبعد عودة السيد أحمد خان من إنجلترا وفرنسا غدا شغله الشاغل إزالة

---

(١) انظر كفاح المسلمين في تحرير الهند، د/ عبد المنعم النمر، ص٣٧، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث أ/ أحمد أمين ط مكتبة النهضة المرصية ، ط ثالثة ، سنة ١٩٧١، ص١٣٤.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص٦٧ كفاح المسلمين فى تحرير الهند ص٣٩-٤٠.

(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص٦٨.

الجفوة بين الإنجليز والمسلمين، ومحاولة بناء جسور من الثقة بين الفريقين؛ حتى يُقْبِل كل منهما على الآخر فيستفيد ويفيد، كما دعا المسلمين إلى الإقبال على التعليم المدني الذي أدخله المستعمر الإنجليزي إلى البلاد، وحين وجد أنه من العسير إقناع المسلمين بالهند بهذه الخطوة دعا إلى إنشاء مؤسسة علمية إسلامية، يتلقى فيها أبناء المسلمين التعليم الحديث مع تعاليم دينهم، في جوٍ مأمونٍ موثوقٍ به؛ حتى يستطيع أبناء المسلمين أن يغترفوا من معين الثقافة الغربية، ويشاركوا في نهضة البلاد مع زملائهم من الهندوس[1].

حركة السيد أحمد خان ومنعطف جديد:

لقد كان من الممكن أن تجذب دعوة السيد أحمد خان إليها عدداً كبيراً من مسلمي الهند لولا أنه سلك مسلكاً حاول خلاله أن يخضع كثيراً من العقائد الدينية لفلسفته الطبيعية المادية، "فانتهج في تفسيره للقرآن الكريم منهج المطيق لآياته على أساسٍ طبيعي، يناقض تماما القول بالمعجزات، وخوارق العادات، وجعل النبوة غاية تُحَصَّل وتكتسب عن طريق الترويض النفسي ...، وفي شرحه لآيات القتال أضعف من فرضية الجهاد في الوقت الحاضر، كما أنه في الآيات الأخرى الخاصة بأهل الكتاب عبَّر في غير لبس عن توهين الفجوة بين أهل الكتاب من جانب، والمسلمين من جانبٍ آخر، ودعا إلى ما أسماه "إنسانية الأديان" أي المعنى الإنساني العام الذي تدعو

(١) كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٣٦، ٣٧.

الأديان السماوية إلى اعتباره وحفظه [1]"، وأخذ يشتم الأئمة والفقهاء والمحدثين، ويستهزئ بالشعائر الإسلامية وأنكر السنة[2]، وقرر في تفسيره أن القرآن نزل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده[3]".

وبهذه الجرأة في التأويل للعقائد الإسلامية والقرآن الكريم على نحو يخالف إجماع المسلمين، أعطى السيد أحمد خان خصومه سلاحاً ماضياً، شهروه في وجهه، واستطاعوا أن يُظهروه أمام عامة المسلمين رجلا مارقاً من دينه، خارجاً عليه، هادما لأسسه المجمع عليها[4].

ولكن بالرغم من هذا الهجوم الذى تعرض له إلا أنه لم تلن له قناة، أو تفتر له عزيمة في نشر حركته الداعية إلى قبول الحضارة الغربية، ومن ثمَّ سخر السيد أحمد خان وقته وفكره لهذه الغاية، واتخذ عدة خطوات عملية رغبةً في الوصول إلى هذا الهدف، منها إنشاء جريدة "تهذيب الأخلاق"، ومدرسة عليكرة الإسلامية، التى صارت فيما بعد تسمى بـ"جامعة عليكرة الإسلامية" ليكونا منبراً ووسيلة فكرية لنشر أفكاره وآرائه.

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار د/ الهبى ص ١٦، اصراع بني الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ،ص٦٨.

(٢) كان إنكار السيد أحمد خان للسنة بداية انطلاق لحركة إنكار السنة التي استمرت بعد وفاته حسب تخطيط الاستعمار وحت رعايته ، وبعد إنشاء دولة باكستان سنة ١٩٤٧م حمل لواءها أحد موظفى الدولة الكبار في الحكومة وهو السيد غلام أحمد بزويز قيدا يزيد من نفوذها في الدوائر الحكومية (انظر أبو الأعلى المودودى ، حياته ودعوته ، ص٨٣).

(٣) انظر أبو الأعلي المودودى ، حياته ودعونه، ص٧٧.

(٤) انظر كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص٣٨. ٣٩.

الجوانب الإيجابية والسلبية لهذا الاتجاه:

مثلما كان للاتجاه الذى سلكته المدارس الدينية ممثلة فى دار العلوم ديوبند إيجابياته وسلبياته، كان لحركة السيد أحمد خان ومن سار فى دربه أيضاً كثير من الجوانب، منها ما هو إيجابى، ومنها ما هو سلبى:

- الجوانب الإيجابية:

١- أنها ساهمت فى فتح نافذة للمسلمين على الحضارة الغربية، عرفوا من خلالها ما جاء به العصر الحديث من مظاهر الرقى والاختراع؛ مما أسهم فى تبديد سحب الجمود التى خيمت على المجتمع الهندى(١).

٢- ومن هذه الجوانب الإيجابية أيضاً أنها أسهمت فى ملء الفراغ الثقافى والاقتصادى الواقع فى المجتمع الإسلامى الهندى، بعد استقرار الحكم الإنجليزى فى الهند، وعالجت -إلى مدى محدود- القلق واليأس المسيطرين على نفوسهم، وتخرج فى جامعتها -جامعة عليكرة- بعض خيرة الشباب، وقادة الفكر، والزعماء السياسين، وأدباء كبار، وشخصيات قوية قادت حركة الخلافة، وحركة التحرير فى الهند، وساهمت فى قيام دولة باكستان وإدارتها فيما بعد (٢).

- الجوانب السلبية:

لقد كان لحركة السيد أحمد خان جوانب سلبية كثيرة، نذكر منها:

١- أن هذه الحركة قامت على الافتتان بالعلم الطبيعى والحضارة

---

(١) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص١٨٩.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٧٢.

الغربية افتتاناً خرج بها عن حد الاعتدال، مما أدى إلى خفة وزن القيم الروحية والمثالية فى نظر أصحاب هذا الاتجاه، وإلى إنكار كل قيمة أخرى مما لا يشاهد فى الطبيعة، ويدرك بالحس الإنسانى(١).

٢- أن السيد أحمد خان حين ألح على الأخذ بالحضارة الغربية، ونظمها ومبادئها لم يراع الفوارق القائمة بين المجتمع الغربى بتقاليده وثقافته، والمجتمع الشرقى الإسلامى بالهند بعقائده وتقاليده وثقافته، وكان كمن استعار ثوباً لقامة لا تناسبه "فلم يفكر السيد أحمد خان فى خطته التعليمية مثلا أن يخضع النظام التعليمى الذى أخذ شكله النهائى من البيئة الغربية -لم يخضعه لطبيعة المجتمع الإسلامى الهندى الذى كان يريد تطبيقه فيه، وحاجاته وأوضاعه، ولم يفكر فى سبكه سبكاً جديداً إسلامياً هندياً، ولم يفصله عن الحضارة الغربية وروحها المادية التى لا لزوم لها فى بلد إسلامى شرقى(٢)".

٣- ومن هذه السلبيات أن السيد أحمد خان لم يعن بتعليم العلوم والفنون التطبيقية العلمية العناية التى تستحقها، ولكنه قصر عنايته وجهوده على تعلم المسلمين الهنود اللغة والآداب الغربية فقط، على الرغم من حاجة الأمة الإسلامية بالهند إلى مثل هذه العلوم التى برع فيها الغرب، والتى تعد الثمرة الحقيقية لنهضتهم وتقدمهم، بل إنه عارض فى بعض الأحيان تعليم الصنائع والفنون الغربية معارضةً شديدة اللهجة(٣)".

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار، ص١٦، ١٥ بتصرف.
(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٦٩ وما بعدها.
(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٧١.

٤- ومن أبرز السلبيات التى تمخض عنها هذا الاتجاه ظهور جيلٍ جديد، يعتنق قيم الغرب الأوروبى ومبادئه، ويعتقد أن كل ما جاء به الغرب من نظريات فلسفية أو دينية أو اقتصادية بمثابة المسلَّمات التى لا تحتاج إلى دليل، ولا يتطرق إليها شك، وفى المقابل تقف من كل أمرٍ أتى به الدين موقف الشك والريبة، ولا تقبله إلا بعد الاستدلال عليه، والبرهنة على معقوليته وصحته[١]، مما أثر بالسلب على المجتمع الهندى الذى اهتزت قيمه ومبادئه، وشاع بين طبقاته سيلٌ من الانحلال والانحراف الخلقى.

وإذا كانت هناك كلمة أخيرة فإننا لابد وأن نشير إلى أن أصحاب هذا الاتجاه ظنوا أنهم يستطيعون أن يخدعوا الاستعمار ويمكروا به، فإذا به أشد مكراً، وظنوا أنهم يستطيعون أن يمتطوه ليسخروه لصالح الإسلام فامتطاهم الاستعمار وسخرهم لصالح التغريب والتغيير الاجتماعى[٢][٣].

---

(١) انظر واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص١٨٣، ١٨٤.

(٢) انظر أساليب الغزو الفكرى ، د/ علي أبو جريشة ، ص٢٠١، ٢٠٢.

(٣) وانظر المدرسة الإسلامية الحديثة في الهند ومنهجها العقدي بين التقليد والتجديد للباحث ص١٨٦ وما بعدها.

الفصل الثالث

ندوة العلماء

ويشمل:

أولاً: نشأتها وأهدافها.

ثانيا: إسهامات ندوة العلماء في محيط الثقافة الإسلامية بالهند.

ثالثا: دور الندوة في المجتمع الهندي حديثا.

أولاً: نشأة ندوة العلماء وأهدافها:

كان للهوة الواسعة التي حدثت بين علماء الدين من جهة، وحركة سيد أحمد خان ومن لف لفه من جهة أخرى، أبلغ الأثر في ألا تحقق هذه التيارات الفكرية - التي قامت بهدف إيجاد وسيلة يتمكن المسلمون بها مجاوزة محنتهم التي ألمت بهم - الثمرة المرجوة، والآمال المعقودة عليها في ظل تشبث كل طائفة من الطائفتين بآرائها وأفكارها وتسفيه الأخرى، حتى غدا " كل من التيارين ينظر إلى الآخر نظرة ازدراء واحتقار، ونظرة خوف وإشفاق، وأصبحت المناظرات والمطارحات بينهما قائمة على قدم وساق، قد تتحول - أحيانا - إلى مضاربات وإهانات، ومحاكمات ومخاصمات، وقد تجر إلى تضليل وتفسيق بل إلى تكفير أحياناً كثيرة "(١).

---

(١) مجلة البعث الإسلامى الصادرة عن ندوة العلماء-لكنو- الهند، عدد خاص عن المهرجان التعليمي يضم الأعداد الخامس والسادس والسابع لأشهر محرم وصفر وربيع الأول لعام ١٣٩٦هـ ص٣٧ من كلمة للشيخ أبو الحسن الندوى ١. انظر١- مجلة البعث الإسلامى الأعداد الخامس والسادس والسابع لعام ١٣٩٦هـ من مقال بعنوان ٨٥ سنة لنشاط ندوة العلماء لفضيلة الشيخ عبد السلام القدوانى الندوى ص٤١-٤٤ بتصرف كبير.

ومن ثم كان لروح العداء التي قابل بها كل فريق الآخر أكبر الأثر في الحيلولة دون التقائهما على كلمة سواء، تكون كفيلة بأن تخرج الأمة الإسلامية بالهند من محنتها بدلاً من أن تضاعفها وتضيف إليها محناً أخرى، مما كان لابد معه من بزوغ وظهور حركة تكون جسراً وهمزة وصل بين هذه التيارات لتجتمع على ما فية خير المسلمين بالهند فكانت حركة ندوة العلماء.

ففي عام ١٣١٠هـ الموافق ١٨٦٢م تجمع عدد من العلماء الربانيين في مدرسة فيض عام بمدينة كانبود وكانوا يفكرون في حل مشاكل المجتمع الإسلامي المعاصر آنذاك وقد أدركوا ما آل إليه وضع المسلمين دينياً واجتماعياً من التقهقر والتأخر .. وكان من بينهم الشيخ لطف الله علي كرهي، الشيخ محمد علي المونكيري، والشيخ محمد حسين إله آبادي، الشيخ سليمان البهلواري، والشيخ أحمد حسن الكانبوري، والشيخ محمود حسن المعروف بشيخ الهند، والشيخ أشرف التهانوي والشيخ خليل أحمد السهارنبوري، الشيخ فخر الحسن الكنكوهي ، الشيخ ظهور الإسلام فتحبوري، والشيخ تجمل حسين دستوي، والشيخ عبد الغني مورشيد آبادي، والشيخ ثناء الله أمر تسري والشيخ نور محمد بنجابي عليهم رحمة الله .. وكان هؤلاء الأقطاب يمثلون مدارس فكرية متنوعة، كما كانوا من أقطار مختلفة في الهند والأمر الذي جمعهم هو القلق المشترك في نفوسهم مما وصل إليه حال المسلمين بالهند نتيجة اجتماع الكوارث والخطوب عليهم، وأكبر هذه الكوارث في نظرهم كانت الخلافات بين طوائف المسلمين نفسها

وتشاجر علمائها في المسائل الفرعية، وجدلهم البيزنطي العقيم في أمور لا تعود بالنفع على المسلمين في الدنيا والآخرة... فرأى هؤلاء العلماء أن ينشئوا مركزا علمياً يجمع العلماء المسلمين الممثلين لطوائف متنوعة ومدارس فكرية مختلفة، ويستخدموا هذا المركز لإزالة الخلافات القائمة بين العلماء، والتقريب بين وجهات نظرهم والعمل الموحد للهدف المشترك إيمانا بوحدة الدعوة الإسلامية ،ووحدة مصير المسلمين، وقرروا عقد مجمع إسلامي خاص لهذا الغرض في العام القادم، ووجهوا دعوات إلى جميع علماء الهند مهما كان اتجاههم في المذاهب الفقهية، ومهما كبرت معارضة بعضهم الآخر في فهم معنى النصوص من الكتاب والسنة ووجوه التطبيق العملي في الحياة

وفي العام التالي ١٣١١هـ الموافق ١٨٩٣م انعقد ذلك التجمع الإسلامي وحضره كبار علماء المسلمين وزعماؤهم في الفكر والأدب والتاريخ والعلوم الدينية وكان منهم الشيخ محمد آروي كبير علماء الحديث في الهند والشيخ أحمد رضا خان بريلوي كبير الطائفة البريلوية، والشيخ محمد حسين التهانوي، والشيخ عبد الخالق الحاني من أقطاب علم التفسير والتوحيد، والأمير العالم الشيخ حبيب الرحمن خان شيرواني والعالم الواسع الثقافة الشيخ شبلي النعماني، والشيخ شاه سليمان الفلواري، والعالم الجليل الشيخ غلام حسين كنتوري، والعالم الكبير الشيخ محمد شاه المحدث رامبوري.

اجتمع هؤلاء المشايخ على دعوة إخوانهم وقرروا إنشاء جمعية دينية

إسلامية إصلاحية وسموها "ندوة العلماء" واختاروا العلم الرباني الكبير الشيخ محمد علي المونكيري أمينا عاما لهذه الندوة

وهكذا بدأت ندوة العلماء تخطو خطوات واسعة في طريق لم يكن أبدا ممهدا أو مليئا بالورود والرياحين إنما كان محفوفا بالأشواك فبجانب عدم تعاون أي من التيارين الموجودين على الساحة الفكرية فقد كانت هناك عقبات أخرى استطاع هؤلاء الرجال بفضل إخلاصهم أن يتخطوها كان من أبرزها:

أ- معارضة السير أنتوني ميكدونالد - الحاكم الإنجليزي - والذي قوض دعائم الأردية في بهار وكان من أشد المعارضين للندوة.

ب- معارضة السيد احمد رضا خان بريلوي الذي أسس جماعة معارضة لها في كلكتا اسمها "جدوة"(١).

وبالرغم من تلك الصعوبات والعقبات استطاعت ندوة العلماء بفضل رجالها المخلصين، وعلمائها الربانيين، أن تشق طريقها بعدما حددت لها أهدافا وغايات كانت تتسع باتساع دائرتها وتطورها، وكان من أبرز هذه الأهداف:

أولا: جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم وتنسيق جهودهم في سبيل إنهاض الأمة الإسلامية بالهند من عثرتها.

---

(١) فن السيرة والأدب الأردى عن شبلى النعماني تأليف د/ جلال السعيد الحفناوى ط دار النشر للجامعات ، مصر ط أولى سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ،ص١٥٦.

ثانيا: محاربة الأخلاق الفاسدة والتقاليد الجاهلية والعادات القبيحة التي أخذت تنتشر في المجتمع الإسلامي بالهند.

ثالثا: جمع العلماء من مختلف المذاهب الفقهية والطوائف الإسلامية السنية على منصة واحدة للاهتمام بأمر المسلمين.

رابعا: إصلاح مناهج التعليم الديني وتطويرها وتكييفها مع الزمن في نطاق المبادئ الإسلامية ومقاصد شريعتها الغراء.

خامسا: إعداد جيل جديد من العلماء يجمع بين المعرفة المتعمقة للكتاب والسنة والأفكار والنظريات الحديثة ليكون موضع ثقة من كلتا الطبقتين القديمة والحديثة، وليكون هذا الجيل من العلماء نبضا للعصر الذى يعيشه ، قادرا على مواجهة مستجداته الفكرية .

سادسا : إعادة ثقة الجيل الجديد والطبقة المثقفة الجديدة بكون الإسلام صالحا لكل طبقة وجيل وعصر ومصر .

سابعا : العمل على نشر القيم الإنسانية المشتركة فى المجتمع الهندى بكل طوائفه لتكون مدخلا لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام .

ثانيا :إسهامات ندوة العلماء فى محيط الثقافة الإسلامية بالهند:

منذ اللحظة الأولى لبزوغ فجر حركة ندوة العلماء ومؤسسوها يضعون نصب أعينهم ما آل إليه أمر المسلمين بشبه القارة الهندية لا سيما النخبة من المثقفين الذين صاروا فريقين متصارعين كل يجد ما عنده ويسفه ما لدى غيره فحاول مؤسسو ندوة العلماء أن يكونوا جسرا وهمزة وصل بين هذين الفريقين المتصارعين ليجتمعا على كلمة سواء تكون عاملا من عوامل نهضة

هذه الأمة بدلا أن تكون معولا من معاول هدمها.

ومن أول ما التفت إليه أعلام هذه الحركة النظرة إلى المناهج الدراسية التى كانت موجودة آنذاك فى المدارس الدينية والتى بلغت حدا من الجمود، جعلها عقبة فى طريق النهوض بهذه الأمة بدلا من أن تكون سببا من أسباب نهضتها ،ومن ثم فلم يكن غريبا أن يشهد أول اجتماع لندوة العلماء تشكيل لجنة للنظر فى المقررات الدراسية الرائجة فى المدارس الدينية آنذاك، وانطلقت هذه اللجنة فى عملها من رؤية علماء الندوة لبرامج التعليم ومناهجه، فقد كانوا ينظرون إلى برامج التعليم ومناهجه على أنها أداة قابلة للنمو والتطور، خاضعة لحاجات كل عصر ومقتضاه وليست أداة حديدية لا مرونة فيها ،ومن ثم رأوا أن الحاجة ماسة إلى إحداث فكر جديد يلائم بين التراث الإسلامي وحاجات العصر، الحديث ومقتضياته بعدما تغيرت الظروف والأحوال فى هذا العصر ،فالاعتراضات التى شغلت العقول وحلقات الدرس قديما قد فقدت أهميتها وقيمتها وانقرضت الفرق التى كانت تثيرها وتتشبث بها وأصبح الوقوف على دراستها وتفهمها إضاعة للوقت وجهادا في غير عدو، وقد نشأ عالم جديد، وتجددت حاجاته وقد أثار أعداء الإسلام وخصومه أسئلة جديدة فى هذا العصر لم تكن تخطر على بال»(١).

وقد التزم علماء الندوة منهجا رأوا انه كفيل بتحقيق ما يهدفون إليه

---

(١) انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العربية لأبو الحسن الندوى ص٦٣ نقلا عن مكاتب محمدية ، مجموعة رسائل الشيخ علي المونكبرى مؤسس حركة ندوة العلماء.

فيما يتعلق بإصلاح المناهج الدراسية فنادوا بإعطاء القرآن الكريم متنا وتفسيرا حقه من العناية والدراسة والتمييز بين العلوم الآلية والعالية والوسائل والمقاصد، وتقديم كتب المتقدمين المتذوقين للدين والعلم أصالة على كتب المتأخرين، والعناية بتعليم العلم أكثر من العناية بتدريس الكتب ونادوا بإحلال اللغة العربية وآدابها محلها اللائق فى المناهج الدراسية والمقررات المدرسية، فقد كانت بلغت منتهى الضعف فى الزمن الأخير ووضعت فى هامش المناهج والنشاط العلمى والتعليمى ، وتعليم اللغة العربية كلغة حية راقية دافقة بالحياة والقوة ، مرنة تساير متطلبات العصر وحاجة الدعوة والدعاة حتى يستطيع أبناء هذه الدار أن يتذوقوا جمال القرآن وإعجازه ،وفصاحة الحديث النبوى وقوته، ويخاطبوا أبناء العرب فى لغتهم وأساليب كلامهم، ويقاوموا الفتن العصرية والدعوات المضللة ودعوا إلى ضم بعض العلوم الحديثة النافعة التى لا يسع العالم جهلها ودراسة اللغة الرسمية السائدة فى مناهج التعليم(١).

ووجهت ندوة العلماء اقتراحا للمدارس الدينية الموجودة بالهند بإجراء تعديلات فى المقررات الدراسية وطلبت منها قبول التوصيات والرؤى التى انتهت إليها اللجنة غير أن هذه الدعوة لم تنل أى تشجيع من القائمين على هذه المدارس فرأى أعضاء مجلس الشورى لندوة العلماء أن الظروف تقتضي إنشاء مدارس جديدة خاصة تطبق هذه التوصية فكانت دار العلوم

(١) مجلة البعث الإسلامي -رة عن ندوة العلماء ص ٣٨، ٣٩، كلمة لأبى الحسن الندوى في المهرجان التعليمي لندوة العلماء عدد ٥ -٧ لسنة ١٣٩٦هـ.

لندوة العلماء وذلك فى عام ١٣١٣ هـ فى المؤتمر السنوى للندوة المنعقد فى بريلى وقد أسهمت دار العلوم ندوة العلماء إسهاما كبيرا في نطاق التعليم والثقافة الإسلامية بشبه القارة الهندية، واستطاعت أن تكون همزة وصل بين المدارس الدينية وحركة سيد أحمد خان فيلتقي فى مناهجها الدراسية القديم النافع مع الجديد الصالح لتسد فراغا كبيرا فى محيط الثقافة الإسلامية بالهند بعدما اتسعت هوة الخلاف بين المتشبثين بالقديم والمنادين بإقصائه جملة والإقبال على العلوم الحديثة وحضارتها الغربية(١).

ولم تكن مجهودات وإسهامات ندوة العلماء الثقافية قاصرة على إصلاح مناهج التعليم فحسب فقد كان مؤسسو الحركة يرون فيها مدرسة فكرية أكثر من كونها حركة إصلاح لمناهج التعليم فقط ومن ثم تعددت إسهاماتهم الثقافية في شتى الميادين وكان من أبرزها:

أ- مجال الصحافة:

لم يغب عن خاطر رجالات ندوة العلماء ما للصحافة من دور مؤثر تستطيع النهوض به في سبيل إحياء الأمة الإسلامية وبعث الحيوية والنشاط فيها ،والمحافظة على ثوابتها وقيمها الأصيلة، ومن ثم كانت الصحافة من أولى المنابر التى استغلها رجالات الندوة لتحقيق أهدافها فمنذ البدايات الأولى لهذه الدار والصحافة تأخذ مكانتها وتقوم بدورها المؤثر وتؤدى رسالتها التى تستمدها من الأطر العامة والأهداف التى حددتها الندوة منذ نشأتها .

---

(١) مجلة البعث الإسلامى ،الأعداد الخامس والسادس والسابع لسنة ١٣٩٦ من مقال بعنوان ٨٥ سنة لنشاط ندوة علماء للشيخ عبد السلام القيروانى الندوي ، ص٤٤.

(١) فن السيرة في الأدب الأردى عند شلبى النعمانى ، ص١٥٤ بتصرف.

ففى عام ١٩٠٢ فكر العلامة شبلى النعمانى ـ أحد أبرز رجالات الندرة في إصدار مجلة باسم " الندوة " وبذل في سبيل إصدارها كل جهد حتى ظهر العدد الأول منها في جمادى الأولى سنة ١٣٢٢ هـ الموافق أغسطس ١٩٠٤ م وكان هدفها كما كتب على صدر صفحتها الأولى"إحياء العلوم الإسلامية " وتطبيق المعقول والمنقول والمقارنة بين العلوم القديمة والجديدة .

وقد نشرت المجلة كثيرا من الموضوعات والتحقيقات عن إصلاح المقررات الدراسية العربية والعلوم الإسلامية معظمها لشبلي وأحدثت مجلة الندوة ثورة في أفكار العلماء وفتحت أمامهم مجالات رحبة للأبحاث الحديثة فظهرت لهم سبل ووسائل جديدة لخدمة الإسلام والعلوم الإسلامية(١).

ثم توالت إصدارات الندوة الصحفية بعد ذلك فأصدرت مجلة «الضياء »وكانت أول مجلة تصدر عن دار الندوة باللغة العربية وترأس تحريرها السيد سليمان الندوى وأعيد إصدار مجلة " الندوة " للمرة الثانية وعهد برئاسة تحريرها إلى السيد أبو الحسن الندوى وفضيلة الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى وكان ذلك فى الفترة التى تولى أمانة الندوة الدكتور السيد عبد العلى بن السيد عبد الحى الحسنى ثم أصدرت ندوة

---

(١) فن السيرة في الأدب الأردى عند شبلى النعمانى ،تأليف د/ جلال السعيد الحضاوي ط دار النشر للجامعات ، ط أولي سنة ١٤١٩هـ -١٩٩٨م ،ص١٥٤ بتصرف

العلماء مجلة شهرية باسم «البعث الإسلامي» وأخرى نصف شهرية باسم " الرائد" وقد كانتا باللغة العربية مما جعلهما تسهمان إسهاما كبيرا فى نقل الفكر الإسلامي الهندى إلى عالمنا العربى .وقد تميزتا بطابع خاص تجلى فى مواقفهما الحازمة المتسمة بالشجاعة والصراحة وقوة الأسلوب وجمال المظهر فنالتا إعجاب كبار الكتاب والأساتذة وبخاصة فى فترة الخمسينات والستينات حيث كان فيهما الفكر الإسلامي والرأى الحر محجوراً عليهما فكانت هاتان الصحيفتان تمثلان المنبر الحر للفكر والرأى وتتوليان الدفاع عن قادة الحركة الإسلامية ومفكريها .

كما أصدرت الندوة أيضا جريدة تعمير حياة باللغة الأردية فحازت مكانة محمودة فى أوساط المثقفين بالهند وخارجها .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الصحافة فى تاريخ ندوة العلماء قد أسهمت إسهاما كبيرا فى جوانب شتى منها:

أولا: القيام بدور مؤثر وفعال نحو مسلمى الهند فى إطار الأهداف العامة التى حددتها الندوة لها من استنهاض الأمة الإسلامية بالهند وبعثها من جديد، عن طريق المحافظة على النقى الجيد من تراثها الثقافى والجمع بينه وبين الصالح النافع مما حملته الحضارة الغربية إلى هذه البلاد .

ثانيا :- أنها أسهمت إسهاما كبيرا وما زالت _ فى تسليط الأضواء على الفكر الإسلامى الهندى ونقله إلى العالم العربى بلغته فأحدثت نوعا من التواصل بين الثقافة والمثقفين العرب وإخوانهم من مسلمى شبه القارة الهندية .

ب- مجال التأليف والتصنيف :

حبا الله عز وجل ندوة العلماء نخبة من العلماء والمفكرين النابهين فى شتى العلوم والمعارف الإسلامية أمثال الشيخ شبلى النعمانى، والشيخ عبد الحى الحسنى الندوى صاحب نزهة الخواطر، وابنه الشيخ أبو الحسن الندوى، والشيخ سليمان الندوى، والشيخ مسعود الندوى، وغيرهم ممن أثروا المكتبة الإسلامية بأمتع البحوث فى مختلف فروع الثقافة الإسلامية فشادوا للندوة مكتبة زاخرة تحتل مكانة مرموقة بين المكتبات الإسلامية شرقا وغربا قديما وحديثا بفضل بحوثهم العلمية، والأدبية الرصينة، وتصديهم للحملة الفكرية الغربية والتضليلات العلمية والحملات الإلحادية من الاشتراكية والشيوعية والقاديانية وغيرها كثير، مما يجعل حصر هذه المصنفات أمرا من الصعوبة بمكان لتشعبها وتناولها لشتى العلوم والمعارف الإسلامية وقد أفرد الأستاذ نور عالم الأميني للإنتاج العلمى لأبناء ندوة العلماء بحثا خاصا فى قرابة خمس وعشرين صفحة بمجلة البعث الإسلامي الصادرة عن ندوة العلماء فى المهرجان التعليمى للندوة بمناسبة مرور ٨٥ عاما على تأسيس الندوة وذلك فى أعدادها الخامس والسادس والسابع لأشهر محرم وصفر وربيع الأول لسنة ١٣٩٦هـ تناول فى بحثه بعضا مما دبجته أقلام علماء الندوة مصدرا بحثه بقوله: " إنى أقول بعض نواحى هذه المكتبة "فأنى لم أتعرض لكل ما دبجته الأقلام الندوية فمن يستقصيه استقصاء ؟ وقد تركت فعلا ـ وعن إرادة ما قام به الندويون من نقل مئات الكتب من لغة إلى لغة فمن الاردية إلى العربية وبالعكس والى غيرها من

اللغات خوفا من الطول.

ج- مجال الأدب الإسلامي :

أولى علماء الندوة ورجالاتها على امتداد تاريخها الأدب الإسلامي- عناية فائقة لإدراكهم أن الأدب وسيلة من أنجع الوسائل التى يستطيعون بها تحقيق غاياتهم وأهدافهم، فالأدب على امتداد تاريخ الإسلام ينهض بدور قوى وفعال فى خدمة القضايا الإسلامية فى كل عصر ومصر، ومن ثم أنشئت فى ساحة الندوة وبمبادرة من رئيسها الشيخ أبو الحسن الندوى رحمه الله رابطة للأدب الإسلامي عهد برئاستها إليه وظل رئيسا لها إلى أن وافته المنية ويشارك فى هذه الرابطة الأدبية الإسلامية أدباء من سائر أنحاء العالم الإسلامي عربا وعجما، ولها مكاتب وفروع فى معظم دول العالم الإسلامية الكبرى ،وقد عقدت الندوة الأولى لهذه الرابطة فى دار العلوم ندوة العلماء بالهند ومازالت إلى يومنا تسهم إسهاما فعالا فى الارتقاء بالأدب الإسلامي مما يحسب لندوة العلماء ويعد من إسهاماتها الثقافية التى تخطت حدود شبه القارة الهندية ليعم النفع جميع الأقطار الإسلامية من المشرق إلى المغرب ولتكون دليلا صادقا على أن خير ندوة العلماء لم يكن قاصرا على مسلمى شبه القارة الهندية وإنما امتد ليصل إلى كثير من البقاع الإسلامية فى شتى أرجاء المعمورة .

ثالثا :دور الندوة فى المجتمع الهندى حديثا:

مثلما كان لندوة العلماء إسهامتها فى محيط الثقافة الإسلامية قديما كان لها دورها الرائد حديثا فى المجتمع الإسلامي بشبه القارة الهندية لا سيما فى

مواجهة المؤامرات والمكائد التى يقوم بها المتشددون من الهندوس الذين لا يريدون بقاء للإسلام بشبه القارة الهندية ،فقامت الندوة بدور كبير فى فضح هذه المؤامرات وكشفها وردها إلى نحور مدبريها ،وأسهمت صحافة الندوة ممثلة فى المجلات التى تصدر عنها كمجلة البعث الإسلامي ومجلة الرائد فى ذلك الدور بحظ وافر فما أن تبدر بادرة من كيد إلا ورجالات الندوة لها بالمرصاد وعلى جانب آخر سعت الندوة حديثا إلى مواصلة رسالتها فى المحافظة على الهوية الثقافية الإسلامية لمسلمي شبه القارة الهندية.

"فتبنت الندوة أعمالاً جديدة منها إنشاء مجلس التحقيقات الشرعية الذى يضم عددا من كبار العلماء البارزين فى الهند لإصدار الأحكام الفقهية بالإجماع فى المسائل المستجدة مثل الضمانات والتأمينات وغيرها وإنشاء المجمع العلمى الإسلامي الذى أصدر سلسة من الكتب الدينية فى اللغات الإنجليزية و العربية والأردية ومن الكتب العلمية باللغة الإنجليزية فى مواضيع إسلامية تغذى الناشئة والمثقفين بالفكر الإسلامي الصائب(١).

ومما يحسب لرجالات وعلماء الندوة أنهم لم يعزلوا أنفسهم عن بقية الاتجاهات الفكرية الموجودة على الساحة الهندية حديثا إسلامية وغير إسلامية فعلى مستوى التيارات والاتجاهات الفكرية الإسلامية، كانوا مساهمين مساهمة فعالة فى القضايا التى تهم جموع المسلمين بشبه القارة الهندية حتى حازوا ثقة هذه الاتجاهات الفكرية الإسلامية ولا أدل على ذلك

(١) مجلة البعث الإسلامى ، ص٥٢ من مقال الشيخ عبد السلام القيروانى الندوى، عدد ٥، ٦، ٧ لسنة ١٣٩٦هـ

من اختيار الأمين العام للندوة الحالى فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى وانتخابه ليكون رئيسا لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند بعد وفاة رئيسها السابق الشيخ مجاهد الإسلام القاسمى(١).

ولقد أسست هذه الهيئة بالهند منذ ما يقرب من ثلاثين عاما لتقف فى وجه المطالبين بوضع قانون مدنى موحد لسكان شبه القارة الهندية الساعين لتغليب الثقافة والتقاليد والقوانين العائلية لطبقة الأغلبية الهندوسية على ثقافة الطبقات وطوائف الأقلية الأخرى بالبلاد ومن أهدافها :

- حل الخصومات والنزعات الشخصية والقضايا العائلية وفقا للشريعة الإسلامية ودون اللجوء للمحاكم الهندية التى تصدر فى مثل هذه القضايا أحكاما مخالفة للشريعة الإسلامية

- إصلاح المجتمع الإسلامي من جميع المخاطر والانحرافات وصيانة الشريعة الإسلامية

- الاتحاد والتضامن والتناصر والتعاون فيما بين سائر الطبقات والطوائف والجماعات والمنظمات الإسلامية.

أما فيما يخص الاتجاهات غير الإسلامية وفى طليعتها الهندوس اللذين يمثلون أغلبيه سكان الهند فقد حاول رجالات ندوة العلماء استغلال القيم الإنسانية المشتركة والتى تجمع الناس جميعا مسلمهم وغير مسلمهم حاولوا استغلالها لتكون نقطة التقاء بينهم وبين غيرهم من الهندوس ولتكون

(١) الرائد الإسلامية الصادرة عن ندوة العلماء عدد ٢ لسنة ١٤٢٣خـ- ٢٠٠٢م.

مدخلا إلى دعوتهم إلى الإسلام فأنشأت الندوة حركة رسالة الإنسانية(١).

وتعقد الحركة جلسات وندوات تدعو إليها علماء المسلمين ووجهاء المجتمع الهندى ومفكرين من المسلمين والهندوس لبث روح الإخاء والصداقة بين مختلف طبقات الشعب الهندى، وإحياء القيم الإنسانية المشتركة التى لا يختلف عليها أرباب الديانات المختلفة، ولتكون وسيلة وطريقا للدعوة إلى مكارم الأخلاق ومدخلا لبيان ما يشتمل عليه الإسلام من قيم سامية ،وأخلاق كريمة، ولا شك أن مثل هذه اللقاءات الفكرية التى تجمع بين المسلمين والهندوس تسهم بشكل أو بآخر فى الكشف عن جوهر الاسلام النقى فى ظل الهجمات الموجهة إليه وفى طليعتها اتهام الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض بالتطرف والإرهاب ونستطيع أن ندرك مدى ما تستطيع أن تحققه هذه الحركة فى هذا الجانب إذا وقفنا على كلمة مستر رام كرشن حاكم مديرية اترايراديش الذى شارك فى حفل لهذه الحركة عقد فى قاعة " بيتل "كبرى قاعات مدينة ميزت التابعة لأترايراديش عقب احداث كجرات الرهيبة بين المسلمين والهندوس فقد قال فى كلمته بهذا الحفل : " أن الناس يتهمون المسلمين بأنهم هم اللذين يعيثون فى الارض فسادا ، ما ظنكم بنبي قوم بعث للتعليم والقراءة فخوطب فى بداية أمره "

(١) ويشغل منصب الأمين العام لها أحد رجالات الندوة البروفيسير أنيس الجشتي وقد شرفت بمقابلته والأمين العام للندوة بمصر عند حضورهما لأحد مؤتمرات رابطة الأدب الإسلامى في العام الماضى.

اقرأ هل هو يفسد فى الارض؟ ثم قرأ الحاكم الهندوسى سورتى الفلق والناس وترجمتهما إلى الهندية وقال لا يمكن لمن يؤمن بهذا القرآن وتعاليمه أن يحاول تخريب البلاد وتشتيت المجتمع(١).

(١) انظر مجلة الرائد الصادرة عن ندوة العلماء عدد ٢ لسنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

خاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ... أما بعد

فبعد هذه الرحلة مع ندوة العلماء ودورها الرائد الذى انتفع به المسلمون بشبه القارة الهندية على الخصوص ومسلمو العالم كله على العموم نستطيع أن ندرك مدى الدور الذى استطاعت ندوة العلماء أن تنهض به على الرغم مما واجهها من صعوبات على نحو ما ذكرناه آنفا من خلال إسهاماتها الثقافية والتى تبرز واضحة جلية فى نقاط عدة منها :

- الجمع بين الطبقتين القديمة والحديثة بالهند على منهج وسط يجمع بين محاسن القديم وإيجابيات الحديث .
- إحداث نهضة فى محيط العلماء السلفيين وتذكيرهم بضرورة اللحاق بركاب العصر الحديث والأخذ منه بطرف بعد أن كانوا بمعزل عنه.
- القيام بنهضة إصلاحية فى المناهج الدراسية حتى تكون موضع ثقة من كلتا الطبقتين القديمة والحديثة
- إعادة ثقة الجيل الجديد والطبقة المثقفة الجديدة بكون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان ولاشك أن للندوة ثمارا وخيرات أخرى كثيرة فعليها تعقد الآمال للنهوض بمسلمى الهند حتى يعيدوا أمجاد المسلمين بهذه البلاد التى كانوا يوما سادتها.

فنسأل الله التوفيق والسداد

المراجع

(١) أبو الأعلي المـودودي حياته ودعوته لأليف الدين الترابي ط دار القلم الكويت ط أولى سنة ١٩٨٧ ١٤٠٧هـ .

(٢) أبو الكلام آزاد المصلح الدينى في الهند . د/ عبد المنعم النمر من مطبوعات المجلس الأعلي للشئون الإسلامية

(٣) أساليب الغزو الفكرى د/ على أبو جريشة ط دار الاعتصام.

(٤) الإمام عبد الحي اللكنوي علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء تأليف ولي الدين الندوي ،ط دار العلم دمشق ط أول سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٥) التيارات الإسلامية في الهند سنة ١٨٥٨م ـ ١٩٤٧م , رسالة ماجستير في الدراسات الآسيوية للباحث ممدوح على حجاج يوسف.

(٦) الحجاب لأبي الأعلي المودودي ط دار الفكر.

(٧) دراسات فى التيارات الفكرية المعاصرة للباحث.

(٨) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية لأبي الحسن الندوى، ط دار الفكر الكويت، ط خامسة ١٩٨٥م ١٤٠٥هـ

(٩) العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ط دار الأنصار بالقاهرة.

(١٠) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار د. محمد البهي ط مطبعة أحمد على مخيمر بدون.

(١١) المدرسة الإسلامية الحديثة في الهند ومنهجها العقدي رسالة دكتوراه للباحث بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.
(٢١) المسلمون في الهند بين خدعة الديمقراطية وأكذوبة العلمانية تأليف نور عالم خليل ط دار الصحوة للنشر ،ط أولى سنة ١٩٨٨م / ١٤٠٩هـ.
(١٣) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم د / أحمد محمود السادات من مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية ط ثانية سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
(١٤) رسالة الدعوة الإسلامية وتطورها بشبه القارة الهندية لمحي الدين الألوائى .
(١٥) زعماء الإصلاح أ. أحمد أمين ط مكتبة النهضة ط ثالثة سنة . ١٩٧١
(١٦) فن السيرة والأدب الأردي عند شبلي النعماني تأليف د/ جلال السعيد الحفناوي ط دار النشر للجامعات - مصر ط أولى سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م
(١٧) كفاح المسلمين في تحرير الهند د / عبد المنعم النمر طبعة الهيئة العامة للكتاب .
(١٨) مجلة البعث الإسلامي الصادرة عن ندوة العلماء فى المهرجان التعليمى للندوة بمناسبة مرور ٨٥ عاما على تأسيس الندوة الأعداد الخامس والسادس والسابع لأشهر محرم وصفر وربيع الأول لسنة ١٣٩٦هـ.
(١٩) مجلة الرائد الصادرة عن ندوة العلماء عدد ٢ لسنة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
(٢٠) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم للمودودى ط دار الفكر الحديث لبنان نقلها إلى العربية محمد عاصم حداد.